

# رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجابى نهونج للرحلة الجبلية

الطبعة خلال القرن 11 هـ / 17 م

أ/آل سيد الشيخ سعاد

جامعة غرداية

غرداية ص ب 455 غرداية 47000، الجزائر

خلال وصفه لمراحل الرحلة نستخلص أهميتها وقيمتها التاريخية. وقبل أن ندخل في تفاصيل ذلك يجب أن نعطي تعريفاً واضحاً لصاحب الرحلة، والذي استوحينا جله من الرحلة نفسها والعلة في ذلك سنوضحها فيما يلي:

## 1-التعريف بالمؤلف:

مؤلف هذا المخطوط هو عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجابى، كما جاء في الأبيات الأخيرة من الرحلة<sup>(1)</sup>، وبالرغم من أن اسمه بالكامل معروف، لكن لم يُعثر له على ترجمة، باستثناء ما تحدث عنه بأنه مجابيا لأصل والمنشأ<sup>(2)</sup>، فربما تكلم عن شخصه أو رحلته في الجزء الأول المبثور منها، كما أكد ذلك محمد ابن أبي شنب<sup>(3)</sup> في تعليقه على غلاف إحدى نسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق<sup>(4)</sup>.

وانفرد بذكر المجابى أحد أحفاد<sup>(5)</sup> محمد بن علي أبهلول المتأخرين، في كتاب له بعنوان "علماء مجابية"<sup>(6)</sup>، في موضع واحد عندما تعرض للتعريف بالشيخ أبي الحسن علي

( أبو حسون)، وعبد القادر الجيلالي أولاد عبد الرحمان بن محمد بن علي أبهلول وعمتهما بنت هذا الأخير السيدة عودة، عند خروجهم لأداء فريضة الحج سنة 1063هـ/1652م، في قوله « ورحلتهم منظومة نظماً من سافر معهم ومشغوف بمحبتهم العالم النسيب الفاضل، الأديب شريف المغرب الشيخ سيدي محمد الخروب»<sup>(7)</sup>. وللأسف الشديد لم يزد على هذه العبارات، ولم يفصل في التوضيح عن هذه الشخصية ومكانتها العلمية.

وعند استفسارنا عن هذه الشخصية من المؤرخ

يعدّ التراث ركيزة أساسية في بلورة كيان الأمة وتحديد هويتها، وتسجيل خصوصيتها ومميزاتها، وقد أنجبت الجزائر العثمانية العديد من رجال الفكر والثقافة، الذين كتبوا ودونوا في مجالات وحقول معرفية تراثية متنوعة. شملت العلوم الإنسانية بمختلف منابعها الدينية والاجتماعية، والسياسية، وحتى الاقتصادية، فتركوا لنا علوماً زاخرة. ومن بين تلك العلوم والمعارف الرحلات، والتي تعد من أقدم الفنون الأدبية وأجلها نفعاً، باعتبارها من أهم المصادر التي يعتمد عليها في دراسة التاريخ، وهذا ما انطوت عليه الجزائر في تلك الفترة، فقد كان لها رصيذاً هاماً من تلك الرحلات، التي أصبح فيها الجزائريون أكثر ميلاً للتنقل مشرقاً ومغرباً، ولتدوين تحركاتهم نثراً أو نظماً، سواءً أكانت رحلات علمية أو حجازية، كرحلة ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري المسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، ورحلة ابن الدين الأغواطي في الصحراء الجزائرية، و" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" لصاحبها الورتلاني الحسين بن محمد المعروفة " بالرحلة الورتلانية"، والرحلة المنظومة بالشعر الملحون لمحمد بن مسايب المسماة بـ " الرحلة إلى مكة" ( خلال القرن الثاني عشر للهجرة).

ومن الصنف الأخير وبالشعر الفصيح نظم عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجابى رحلته الحجازية الموسومة باسمه "رحلة المجابى"، المقيدة في اتجاه الرجوع من الحج أي رحلة العودة. وهي قصيدة منظومة في أربعمئة وسبعين بيتاً(470) من البحر الطويل، سجل فيها عودته من أرض الحجاز بعد أدائه فريضة الحج، وقد دامت هذه الرحلة أكثر من سنة. ومن

حال الرضا والغضب، والإعجاب والاستنكار، والاطمئنان والفرع، مفرطاً في شعوره في بعض الأحيان ولكن لا يفقده القدرة على التمييز - كمدحه المتكرر لعائلة محمد بن علي أبهولاً للمجاني - متأثراً في كل ذلك ببيئته الصوفية.

أما رصيده العلمي فنلتبس البعض منه في رحلته كمعرفته لعلم التصوف خاصة عند التقاءه ببعض صالحى الإسكندرية والتشكيك في بعض أقوالهم، مع التأكيد على صحة صلاحهم مثل: عامر الفوال، وأبو عمر الصامت. وكذا عند كلامه عن المزارات وقراءته لبعض الكتب في مقامات الأولياء، كدلائل الخيرات بمقام أحمد زروق. إلى جانب معرفته لعلم التاريخ والفلك عند وصفه للأهرام المصرية، وتاريخ بناءها، وما يرويه أهل ذلك الزمان عنها، مع توثيق نقله عن كتاب أبو العباس المقري وشهاب الدين الإيشيهي من كتابه "المستطرف في كل فن مستطرف" (15). كما حاول تأكيد صحة انتساب القبر الموجود في قايس للصحابي أبو لياية بن عبد المنذر الأنصاري، معتمداً في ذلك على ألفية السيرة لزين الدين العراقي، والذرة المنيفة لعبد الواحد الأنصاري (16). بالإضافة إلى كلامه عن بطولات عقبة بن نافع الفهري في فتحه لبلاد المغرب (17).

أما عن الأدب فله مستوى لا بأس به في نظمه لبعض الأبيات، ولكن الطابع العام لقصيدة الرحلة فهي مقارنة للنثر في أغلبها. ومع هذا فاهتمام المجاني بفن الشعر يتضح من خلال حبسه لمجموعة من القصائد كان قد نسخها بنفسه بالمسجد النبوي كدلائل الخيرات لأبي عبد الله الجزولي، وقصيدة " الكواكب الدرية في مدح خير البرية" المعروفة بالبردة لشرف الدين البوصيري، وقصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم للأكل بن عبد الله الخلوفي، إلى جانب مؤلفات أخرى في السيرة النبوية ككتاب " الشمائل النبوية" للترمذي، و"شفاء السقام في زيارة خير الأنام" لتقي الدين السبكي. كما كان له اهتمام خاص بنسخ الكتب كالمصحف الشريف، الذي تركه حبوساً هو الآخر بالمسجد النبوي مع غيره من المؤلفات، حيث يقول:

وَحَبَسْتُ مَجْمُوعًا عَظِيمًا بِحَطْنًا

تَوَالَفُهُ تَرَى عَلَيَّ الْعَدَّ كَثْرَةً (18)

أما عن شيوخه فقد ذكر واحداً منهم فقط أثناء رحلته، وهو أبو القاسم الصالح أصله من مدينة مقرة كان قد درس عليه المجاني في صغره، وأخبر بذلك أثناء رحلة عودته من الحج، لما أكرمه شيخه هذا بالضيافة. في قوله:

وَشَيْخُنَا أَبُو الْقَاسِمِ الصَّالِحِ الْحَالِدِيِّ

قَرَأْنَا عَلَيْهِ فِي السَّنِينَ الْقَدِيمَةِ

لَأَقَانَا بِتِلْكَ الْأَرْضِ وَهِيَ بِلَادُهُ

وَأَبْدَلْنَا لَنَا جُهْدَهُ فِي الضِّيَافَةِ (19)

أبي القاسم سعد الله برسالة خطية أجابنا فيها بجملة من التوضيحات والنصائح حول الموضوع، ومن بين تلك الإجابات إن هناك أخوان عاشا في أول القرن الحادي عشر الهجري، أكبرهما مات مقتولاً سنة 1001هـ/1592م، وهو الذي رثاه أحمد المنجلاتي، ولكن الواضح أنه ليس واحداً منهما، فقد يكون من سلالتهم، ولكنه لم يفصل من يكون هذين الأخوين، أما الشك بأنه صاحب كتاب "المغاربة" (8) المعروف بعبد الرحمن المجاني، فحسب المصادر والمراجع فقد اختلفا في التاريخ الذي عاشا فيه، فأبو القاسم الحفناوي (9) وعادل نويهض (10) يترجمان له خلال القرن 13هـ/19م (\*). في حين يقول أبو راس الناصري بأنه عاش خلال القرن 11هـ/17م، وقد تتلمذ على يد محمد بن علي أبهول وأبي علي ثم سافر إلى تلمسان، وتلمذ على يد شيوخها لينتقل إلى فاس، ولا يدري أعاد منها أم توفي فيها (11). ناقلاً معلوماته عن أبي زكريا يحيى المازونى المغيلي (12) في كتابه الدرر المكنونة في نوازل مازونة (13)، وعند الرجوع إلى هذا الكتاب لم نجد أثراً لما قاله. غير أن صاحب المغاربة ارتبط اسمه بهذا المؤلف، بالرغم من أن له مؤلف آخر في الحديث عنوانه " فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله ابن أبي جمرة من صحيح البخاري"، ولكن لم يذكر بأن له رحلة (14).

ولهذا فحسب ما قال صاحب كتاب "علماء مجاعة"، إلى جانب الاختلاف في النسب بين ناظم الرحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاني، وصاحب المغاربة عبد الرحمن بن عبد القادر المجاني. ومع عدم دقة أبي راس الناصري في نقل معلوماته حول شخصية صاحب المغاربة - استناداً لما ذكرناه سابقاً - وبعد إطلاعنا على ما جاء في كتاب المغاربة لم نجد أية إشارة لهذه الرحلة، أو ملامح مشتركة بينهما في الأسلوب أو نمط الفكر، وعلى هذه الأسس نستنتج أن المجاني صاحب الرحلة ليس هو نفسه صاحب المغاربة. غير أن الأمر الأكيد أن ناظم الرحلة عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري (17م)، استناداً لما ورد في الأبيات الأخيرة من رحلته في قوله:

بِتَارِيخِ عَامِ ثَالِثِ لَوْ قَوَّفْنَا

مِنْ الْحَادِي عَشَرَ بَعْدَ سِتِّينَ عُدَّة

إلى جانب الشخصيات التي عاشت في تلك الفترة، وكان المجاني قد التقى بها أو رافقها في ركب الحج مثل: علي الأجهوري (ت 1066هـ/1656م)، وأبو سلطان المزاحي (ت 1075هـ/1664م)، والسيدة عودة (ت 1063هـ/1652م).

وحسب ما جاء في الرحلة استنتجنا جملة من الأمور يتصور من خلالها شخص الناظم عبد الرحمن المجاني، السليم الطوية، المسارع في اللجوء إلى الله في

إحدى تلك الاحتمالات، أو ننتظر الزمن لكي يكشف لنا عن نسخ أخرى للمخطوط من شأنها أن تسلط الضوء عن ما خفي عنا في الوقت الحاضر!، وبالأخص إذ عثر على الجزء المبتور.

وبعد تلك الافتراضات نعود إلى محتوى الرحلة وصلبها؛ لنتعرف على إطارها العام. صحيح أن القارئ لمتن الرحلة يدرك ولأول وهلة أنها على نسق موسيقي واحد مع سلاسة وبساطة العبارة، ليكتشف بعد الغوص في الأعماق أنها منتظمة المراحل واضحة الأهداف، راجحة المقاصد، دقيقة المعاني، جلية المفاهيم، محددة المواضيع وكأن صاحبها فنان رسم لوحة زيتية، كل خط ولون فيها يُعرف عن نفسه بصريح العبارة، لا يحتاج لمترجم يترجم له كلامه، ولكن مع كل ذلك نلاحظ أن بعض الألفاظ تتكرر من حين لآخر، بقصد أو بدونه، لأن المؤلف لا غنى له عنها كـ "نزلنا"<sup>(22)</sup> "رحلنا"<sup>(23)</sup>، "أقمنا"<sup>(24)</sup>، "زرنا"<sup>(25)</sup>، "دخلنا"<sup>(26)</sup>، "تجاوزنا"<sup>(27)</sup> وغيرها، ولكنها لا تخل بالمعنى ولا تقصد الأسلوب.

إن رحلة المجاجي تكاد تكون المصدر الوحيد الذي يترجم لصاحبه، وإن كانت ترجمة بسيطة، يتجلى منها أصله ومنشأه، إلى جانب عصره وبعض شيوخه، وأهم العلوم التي برز فيها، فالمجاجي عندما كتب هذه الرحلة كان يهدف إلى غايات شتى لعل أبرزها ملأ الفراغ الذي يسود المنطقة، من حيث انعدام المؤلفات، وخاصة في أدب الرحلات الجزائرية، إلى جانب الهدف الأهم، الذي من أجله جعلت الرحلة منظومة نظماً مبسطاً، حسب ثقافية ذلك العصر ليتيسر حفظها، ولتسهل على الحاج دربه في قصد البقاع المقدسة، حيث يعطي وصفاً دقيقاً ومختصراً لكل موضع يمررون به، وإن تعذر له ذلك ذكره بالإسم فقط.

وعلى هذا الأساس فإن الهدف الجلي المستنتج من الرحلة هو ذلك التحديد الجغرافي للمعالم التي في طريق الحج مبينا فيها الأماكن السهلة والوعرة معاً، من حيث وجود المياه والمثونة والأمن ليتبصر من بعدها الحاج، ويقف أثره ويعرف من خلالها مدى استطاعته أو عدمها، وهو بذلك يقلد من سبقه من الرحالة.

ومن يمعن النظر في هذه الرحلة المسماة "رحلة المجاجي"<sup>(28)</sup>، يجدها عبارة عن قصيدة فصيحة بسيطة التعبير، محتوياتها تجمع ما بين معلومات شتى في مختلف المجالات كالتصوف<sup>(29)</sup> والتاريخ والجغرافية والبلاغة والتراجم وغيرها، إلا أن أكثر ما يشد المؤرخ إليها ما تحتوي عليه من مادة خبرية سواء أكانت تاريخية أم جغرافية بحيث يعتبرها مرآة عاكسة لعصر المؤلف، غير أنها معلومات متناثرة هنا وهناك بين طيات الأبيات، تتضمن تقبيد في غاية الأهمية، ذات شهادة حية عن وقته في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية إن دققنا النظر. أما الإشارات الدينية فهي

أما عن بقية الشيوخ فلا يوجد الأدلة الكافية لإثباتهم، غير أن الاستنتاجات التي استوحيناها من الرحلة، قد ترشد لذلك ونخص بالذكر عائلة الشيخ محمد بن علي أبهلول، والتي ربما قد يكون تتلمذ على يد بعض أفرادها، كالشيخ أبي الحسن علي وأخيه عبد القادر الجبالي، أحفاد محمد بن علي، إلى جانب أعمامهم أبو علي والسيدة عودة، هذا عن المغرب. أما المشرق فقد أخذ عن علي الأجهوري، وهو من فقهاء المالكية بمصر وأبي سلطان بن سلامة المزاحي<sup>(20)</sup>، شيخ الإقراء بالقاهرة<sup>(21)</sup>.

## 2- التعريف بالرحلة وأهميتها التاريخية:

بعد البحث والنقصى تمكنا من الحصول على نسختين للمخطوط اعتمدنا عليهما في تحقيق الرحلة التي بين أيدينا، النسخة الأولى والتي رمز لها ب(أ)، وقد تم اختيارها كنسخة أصلية، وذلك لنوعية الورق الذي كتب عليه النص، وهو ورق قديم خشن، إذا ما قورن بالنسخة الثانية ذات الورق الأملس الحديث. وقد تم الحصول على هذه النسخة من المكتبة الوطنية بالجزائر، وهي مسجلة تحت رقم (1564)، وتحتوي إحدى عشر ورقة (22 صفحة)، ولأن طبيعة الرحلة نظم من أولها لآخرها، فإن عدد أبيات الصفحة الواحدة يتراوح ما بين (20 و 24) بيت.

وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن هذه الرحلة مبتورة الأول<sup>(22)</sup>، ولكن يظهر أن ما وجد في أولها خارج عن مضمون الرحلة؛ وبرهان ذلك أن معاني الأبيات جاءت كاملة متناسقة ذات وحدة موضوعية، لم يختل معناها في أي بيت منها، أما عن احتمالات ما في ذلك البتر فقد يكون فيه التعريف بالمؤلف، أو تقديم عن محتوى الرحلة أو أسباب تدوينها وما إلى ذلك-هذا ما يظهر لنا. غير أنه في إحدى فهارس المكتبة الوطنية بالجزائر وجدنا مؤلفها يذكر أن البتر الموجود في الرحلة؛ يخص رحلة الذهاب إلى البقاع المقدسة، أي الجزء الأول كامل من الرحلة، ولكن لا نستطيع التأكد من هذا بسبب عدم توفر نسخ أخرى للمخطوط.

وهذه الرحلة التي بين أيدينا تعرف بـ"رحلة المجاجي"، حسب ما كتب في بداية النسخة(أ)، ألفها عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي بأكملها نظم واقتصر فيها على طريق العودة فقط، وبالتحديد بعد أداء فريضة الحج، والخروج من مكة قاصداً زيارة المدينة المنورة. أما عن طريقة تدوينها ففيه احتمالات، أولها أنه دونها في أثناء رحلته، والثاني أنه كتب مسودتها في الطريق، وأعاد تنظيمها في الشكل الذي بين أيدينا عند العودة، ولكن هذه الافتراضات لا تسد رقماً ولا تروي ظمناً، لأن السؤال الذي يبقى دائماً مطروحاً متى دونت هذه الرحلة؟، أي طريق العودة أما عند الوصول إلى موطنه بالجزائر؟، وهل كانت عبر مراحل، أم دفعة واحدة؟، ولكي نجيب على هذه التساؤلات يجب أن نرجح

ولانتظام هذه الرحلة يمكن إحصاء عدد أبيات كل مرحلة مر بها المجاجي، وما خصصه لكل قطر في مؤلفه من أبيات، فقد خص بلاد الحجاز<sup>(36)</sup> ب(75 بيت)، ومصر

( 76بيت) أما بلاد المغرب ( برقة، طرابلس، تونس، الجزائر)، فخصها ب(230 بيت).

وخاصة القول فإن الوصف الذي يقدمه لنا المجاجي، عبر رحلته من أرض الحجاز حتى مدينة شلف بالجزائر، هو وصف مقتضب تأخذ من خلاله فكرة بسيطة حول الظروف التي يؤدي فيها الجزائريون هذه الفريضة، ومدى شوقهم إلى زيارة الأماكن المقدسة، بالرغم من الصعوبات التي يواجهونها في خضم ذلك، غير أن التعقيب الذي يوجه لهذه القصيدة هو أنها لا تعطي تفصيلاً دقيقاً حول أحوال المناطق التي مروا بها إلى جانب كونها منظومة شعر بسيط لا يخضع مطلقاً لقوانين الشعر الفصيح، فالمؤلف كان حريصاً على ذكر كل ما يصادفه من ديار، وأماكن يشم منها عبق التاريخ، ولم يكن يحرص على سلامة النص وهذا ما لم يساعد على شهرته، فالشعر ليس وعاء للتاريخ بقدر ما هو مبني على البساطة المطلقة في المعاني والألفاظ، ولا يتناغم مع الشعر أيضاً لأنه مزدهم بالمعلومات التاريخية والجغرافية، الأمر الذي لم يفسح المجال لتحريك العواطف بالصور.

ولهذا فمن هذا وذاك فإنها لا تكتمل إلا بالاستعانة برحلات أخرى أكثر تفصيلاً كرحلة الجبرتي<sup>(37)</sup>، وابن أبي الضياف<sup>(38)</sup> والدرعي والعياشي، والورتلاني، فنجدها تساهم بقدر كبير في إعادة بناء التاريخ العربي الحديث سواء في الجزائر أو في أجزاء من الوطن العربي، وخاصة خلال القرن الحادي عشر هجري (17م)، والتي يسودها قلة في الوثائق وندرتها، وحتى القرن الثاني عشر إن لم نقل العهد التركي عامة.

### 3- منهج المؤلف ومصادره:

#### أمنهجه:

إن المتنوع للنسق الفني والأدبي لرحلة المجاجي يظهر له أن المؤلف كان منسقا غاية التنسيق في قصيدته، مما قد يرجح أنه صاغها بعد عودته بزمن كاف، خصوصاً أنه اقتصر فيها على رحلة الإياب فقط، ولأجل تلك الدقة المتقنة نجده يعرف متى يعلق على الخبر، ومتى يذكر القصة التاريخية أو المسألة الفقهية مع قلتها، ومع تلك الدقة تجعلنا نعتقد بأن له إطلاعاً واسعاً بالكتب، سواء أكانت رحلات أو غيرها من كتب التاريخ والسير، ومحاولته إخراج ثوب جديد ومتميز من الرحلات، تكون مثلاً يقتدى به في التيسير لأي مسافر، بأن يطلع على مسار الرحلة السليم والدقيق في أسماء الأماكن التي يمر بها من أرض الحجاز إلى أرض الجزائر والعكس والمدة الوافية لذلك، مجزئاً كل الرحلة إلى مراحل

جلية، تعكس الطابع الصوفي لصاحب الرحلة، وهذا من خلال مدحه المتوالي لجملة من علماء الصوفية، إلى جانب بقية العلماء؛ سواء الذين رافقهم في ركب الحج أو التقى بهم في طريقه، حيث يورد لهم بعض مميزاتهم العلمية كعلم القراءات عند أبو سلطان المزاحي، والفقه عند الشيخ سحنون، عاكسة خلفها ميوله ومذهبه لبني جلدته من المغاربة (المذهب المالكي)، بما تضمنته معاني تلك الأبيات من المدح والثناء وحياسة النسب والشرف، والهجاء.

أما عن الانتقادات الموجودة في الرحلة فهي قليلة، كاستيائه من ركب الحج المصري، عندما ضغط عليهم للخروج من المدينة المنورة قبل أن يتموا مزاراتهم بها إلى جانب بعض القرى في صحراء برقة، ومدينتي زنزوا والزوارة<sup>(30)</sup>.

كما وجدناه يسجل بعض الملاحظات الهامة عن ركب الحج الجزائري، وكيفية تكوينه واهتمامات أهله المختلفة، ولمن كانت رئاسة الركب؟ وكثرة المدح الذي مني به صاحبه، مع إعطاء بعض الإشارات عن أموره الشخصية أي أمير الركب كممتلكاته الموجودة في مدينة بسكرة وغيرها من مدن الجزائر، وهي بالنسبة لما عرف عن هذه الشخصية معلومة جديدة تضاف لرصيده<sup>(31)</sup>. كما قدم صورة واضحة عن الصلة المزدوجة بين الرحلة إلى الحج وطلب العلم في نفس الوقت، وهذا ما ميز الرحلات الحجازية عامة، والدور الذي لعبه ركب الحج ثقافياً و حتى اقتصادياً، كما ترك انطباعات جيدة حول انتظام الركب وتنظيمه من قبل أميره، ولا ننسى الأهمية التي أجلاها للمرأة الجزائرية، وبالأخص ذات الأصل الشريف ودورها الفعال في المجتمع وهي ممثلة في شخص السيدة عودة بنت محمد بن علي أبهلول، والتي خصها بأبيات عديدة ذكراً فيها خصالها وقدرها، ومدى تعلق الناس بها<sup>(32)</sup>، حتى أكرمها الله بالدفن في خير البقاع باليقع<sup>(33)</sup>.

ومما يسجل على هذه الرحلة، أن صاحبها كان ملتزماً بالموضوعية إلى حد ما وخاصة في الإشارات الوصفية لبعض المناطق التي كان يمر بها، وإن كانت قليلة للصياغة الشعرية التي فرضها على رحلته، بخلاف رحلة الورتلاني مثلاً، والتي تمكن صاحبها من تسجيل خضم هائل من المعلومات التي تمس الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية خاصة، وقد ساعده في ذلك الصياغة النثرية لرحلته، التي وصل فيها إلى 800 صفحة<sup>(34)</sup>، وبالرغم من ذلك فقد حظيت رحلة المجاجي منذ أن كانت مخطوطة بالاهتمام عند أهل مجاجة، وهذا ما أكده أحد أحفاد محمد بن علي المجاجي، المعروف بمولود فلاق بن علي جيلالي في مخطوط "علماء مجاجة" في قوله: "وهي موجودة الآن فمن شاء فلينظرها بالعيان"<sup>(35)</sup>.

المجاعي مباشرة عن عدة أشخاص معاصرين له، مثل:

كَذَاكَ سَمِعْنَا عَمَّنْ لَهُ بِهِمْ خَيْرَةٌ  
وَهُوَ صَحِيحٌ بِالدَّلِيلِ وَحُجَّةٌ<sup>(39)</sup>

**-المصادر المكتوبة:** تنظم هذه الجزئية جميع المصادر المكتوبة، التي اعتمدها المجاعي في نقله، وقد كان ذلك النقل في مجمله بالمعنى فقط، كما كان يعتمد على حافظته في أحيان أخرى.

ومن المصادر المكتوبة الكبرى الأحمري في بيان معرفة علوم الشيخ الأكبر للشيخ عبد الوهاب الشعرائي<sup>(40)</sup> (898هـ/1492م-973هـ/1565م)، وهو تلخيص لكتاب الفتوحات المكية لابن عربي (553هـ/1165م-638هـ/1240م)، وقد أشار لما اقتبسه من هذا الكتاب في هامش الورقة مترجماً معناها في المتن، مع ذكر اسم المصدر في المتن والهامش معاً<sup>(41)</sup>، وهذا الاقتباس تمثل في باب معرفة دورة الفلك<sup>(42)</sup> وكيفية مقدار السنين، رابطاً كل ذلك بتاريخ بناء الأهرام المصرية. وفي هذه الجزئية تتجلى قدرة المؤلف في صياغته للمعاني في الشعر، وفهم مقصد ابن عربي في علم الفلك؛ وهذا بحر لا يغوص فيه إلا محترف<sup>(43)</sup>.

أما المصدر الثاني فقد اكتفى بذكر كلمة فقط من اسم الكتاب بدون ذكر صاحبه، مع التباين في النسختين ما بين "مستطرف"، و"مستطرف"<sup>(44)</sup>، وكلاهما صحيح لأن العنوان الكامل للكتاب "المستطرف في كل فن مستطرف" لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبيشيبي (790هـ-1388م/852هـ-1448م)، استفاد منه المجاعي في الزيارة التي قام بها المأمون ابن هارون الرشيد العباسي للأهرام بمصر، والتصوير الوصفي الذي استنبطه في بناء الهرم الأكبر "خوفو".

كما اعتمد على شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد المقرئ التلمساني (986هـ-1578م/1014هـ-1631م)، في تصحيح ما نقله من معلومات خاصة بالأهرام، مكتفياً فيه بذكر اسم المؤلف دون اسم الكتاب<sup>(45)</sup>.

هذا عن كتب التاريخ أما كتب السير فقد أخذ عن كتاب "ألفية العراقي" في السيرة النبوية، وهو للحافظ الشافعي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان العراقي<sup>(46)</sup> إلى جانب كتاب "الذرة المنيفة" لأبي الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله الأنصاري السجلماسي، وقد استفاد منهما المؤلف في الجزئية التي تتعلق بأبي لبابة في صحة نسبه للصحابة رضوان الله عليهم، في كونه من موالى الهاشمي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

هُوَ مِنْ مَوَالِي الْهَاشِمِيِّ نَصَّ عَنْهُ مَنْ

تَعَرَّضَ لِلْمَوَالِي قُلَّ فِي الْقَصِيدَةِ

فِي أَلْفِيَةِ الْعِرَاقِيِّ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ  
كَذَاكَ وَقَفْتُ عَنْهُ خُذْهُ بِصِحَّةٍ

منتظماً في ذلك بشكل متميز، ليسهل تداول معانيها وإمكانية حفظها.

حيث نجده يخرج من شبه الجزيرة العربية، ليصل إلى مصر ثم بلاد المغرب الإسلامي ليختمها بموطنه بالجزائر، فشهد فيها كيريات مدنها ليصورها لنا تصويراً يتفاوت في الطول والقصر، وفقاً لأهمية تلك المدن عند المؤلف، إلى جانب مدة إقامتهم بها في بعض الأحيان، مركزاً في الوصف على ثلاثة نواحي: المرافق والمشاهد والأرباض، فالمرافق تضم: المساجد، والمياه، والأسواق والمنازل والأبواب والحقول والبساتين. أما المشاهد فهي: مشاهد المقابر، وأثار الأنبياء والصحابة والعلماء والأولياء، والمواقع الإسلامية، أما الأرباض فتضم: الأحياء والضواحي كالقرى مثلاً أو أسماء بعض المواقع. وحتى بعض الوديان، والجبال ولست أعني أنه وصف كل ذلك في كل مدينة، فتارة يأتي بأكثرها، وتارة أخرى يهمل أكثرها؛ حسب أهمية كل بلد، ولكنه في المقابل لم يتكلم عن شعائر الحج التي قاموا بها أو الاحتفالات الدينية كالأعياد مثلاً، باستثناء عاشوراء التي ذكرها وهم في طريق الحجاز.

غير أننا نجده عني في رحلته بمواطنيه من أبناء الجزائر خاصة، ثم أبناء البلاد التي يدخلونها في طبيعة معاملة أهلها وعلماءها، وبعض حكماها (كمدينة الجزائر وبسكرة)، حيث يشيد بأصحاب الفضل عليهم كالشيخ عبد الحفيظ الطرابلسي، وأمير مدينة بسكرة أو يشيد بخصال من رافقهم، وخاصة أمير ركبهم، فنجده يتحين الفرص في الثناء عليه، ويعدد ألوان بره بهم، وفي المقابل ينبذ من يجافونهم أو يتخوف من معتقدات بعضهم (كأهل مدينة زنرووا وزوارة)، ولكن هذا النقد قليل جدا في الرحلة.

أما عن الملاحظة الثانية، والتي تمس المؤلف في حد ذاته، حيث يكشف فيها الستار عن أصله ومنشأ ثقافته، وحتى عن ميوله وشيوخه فقد قدمت في الجزئية التي تحدثنا فيها عن التعريف بالمؤلف.

## 2-مصادر المؤلف:

اعتمد عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاعي على مصادر متعددة منها:

**-المصادر العيانية:** وهي مشاهدات المجاعي المباشرة للأشياء فتأثر بها وأعطاه أكبر أهمية في نفسه، وقد تجلى ذلك التأثر في عبارته التي ساقها في رحلته بمناسبة زيارته العديدة لقبور الأولياء والعلماء، وكذا تنقلاته بين المدن والقرى التي أوحى إليه بما سجله في نظمه كقوله:

رَأَيْتَاهُ بِأَبْصَارِنَا مَعَ شَيْخِنَا

وَقَرَأَ مِنْهُ أَيْضًا حِزْبَ الْبَقَرَةِ

وَلَا يُوجَدُ بِنَاوُهَا فِي جَمِيعِ مَا

رَأَتْهُ عَيْونِي مِنْ مَدَائِنَ كَثِيرَةٍ

**-المصادر الشفوية:** هي الأخبار التي تلقاها

### دخول مصر

. البركة

لباب ( باب الدرب صادفهم 12ربيع الأول  
1064هـ/1653م )

.الإسكندرية

.الرحلة من مصر إلى الجزائر

.تميم(بمحاذاة البحر)

.سروال(بمحاذاة البحر)

.ابن غنية ( صحراء )

.جدابية( صحراء )

.المنعيم(بمحاذاة البحر)

.أحمر(بمحاذاة البحر)

.ز.عفران(بمحاذاة البحر)

.بهانشة(العزيرة)(بمحاذاة البحر)

.جريس( صحراء )

.بقيق(بمحاذاة البحر)

.البنية( صحراء )

.قمينص( صحراء )

.دفنة(بمحاذاة البحر)

.جحيفة(بمحاذاة البحر)

.مصراة

.عبد السلام

.ساحل حامد

.طرابلس

.زنزوا

.الزوار

.القراد

.قبس

.جربة

.زريق

.القاسبية

.مطوية

.وذرف

.القطار

.قفصة

.شفة

.الشبيكة

.قيصران

.زربية حامد

.ليانة

.واد منصف

.سيدي عقبة

.بسكرة

.قرية غريب

.باريكة

.مقرة

وَقَدْ نَصَّ عَنْهُ أَيْضًا الْإِنصَارِي نِسْبَةً

فِي تَأْلِفِهِ الْمُسَمَّى بِالذَّرَّةِ الْمَنِيْفَةِ(47)

وقد تجلّى كل ذلك حسب ما صرح به، أما ما لم يصرح به فأحياناً يفهم من الإشارات فقط بأنه استفاد بمصادر توثق له ما يقوله، كما فعل في مدحه لعقبة بن نافع وتعدد مناقبه في الأبيات التالية(48):

فَلَأَجَلِ ذَاكَ قَدْ تَقَلْنَا مَنَاقِبًا

لَهُ فِي قَتُوحَاتِ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ

عَلَى مَا وَجِدَ مُنْصُوصٌ وَمُسَطَّرٌ

عَنِ الْعَدْلِ لَا يَغْرُرُكَ قَوْلُ الشَّيْخَةِ

وخلاصة القول فالمجاني شخصية لها معرفة علمية، حاول أن يثبتها من خلال إبراز بعض المصادر التي اعتمد عليها، وإن كانت إشاراته للمؤلفات التي اعتمد عليها قليلة، لكن هذا لا يمنع أن يكون حريصاً على أن يأتي بالخبر والمعلومة من أصل صحيح، ليقدّمها لنا في طبق لا يقبل الشك أو الجدل أيا كان منبعها سواء أكانت بالمشاهدة بعين العيان أو بالسمع بأذن اليقين.

### مسار الرحلة

الرحلة من مكة إلى المدينة المنورة: واد فاطمة

الزهران

.أبيار عُرْفان

.خليص

.رابع

.بزوة

.بدر

.عريش المصطفى

.الخيف

.جديدة

.جبل المفرج

.أبيار علي

.المدينة المنورة

الرحلة من المدينة المنورة إلى مصر:

.الينبوع (الاحتفال بعاشوراء 10محرم

1064هـ/1653م)

.الوجه

.النخيل

.عجروود

.رابع

.عقبة

.ظهر الحمار

.مغارة شعيب

.نهر القصب

.الإكراه

.حورة

.التبطن

.أبيار عنتر

مرحلة الحجاز<sup>(51)</sup>  
 مرحلة مصر والإسكندرية<sup>(52)</sup>  
 مرحلة بلاد المغرب (من صحراء برقة إلى  
 طرابلس مروراً بتونس فالجزائر)<sup>(53)</sup>.  
 وقد التزم المجاجي بالمنهج الذي رسمه لنفسه، ولم  
 يكد يخرج عليه إلا في المرحلة الأخيرة، وبالضبط بعد  
 رحيلهم من مدينة بسكرة، ليخرج من الإطار العام  
 للقصيدة ببيت معنون منفصل عما سبق، فيكلمنا فيه عن  
 مَرَّافِيهِ فِي الرِّكْبِ، وهي في حوالي تسعة وسبعين  
 بيتاً<sup>(54)</sup>، ولهذا سنتعرض لتلك المراحل مع مميزاتها  
 بإيجاز.

### 1- 1 مرحلة الحجاز:

بدأ المجاجي رحلته من أرض الحجاز، وبالضبط  
 في الطريق الواصل بين مكة والمدينة، بعدما أتم فريضة  
 الحج، قاصداً المدينة المنورة، مختصر ما مر به، بقوله:

نَشَقُّ الفَيَافِي فِدَاً بَعْدَ فِدَاً

جبالاً وأوعاراً وأرضاً وطية

ليعدد محطات تنقله مع ركب، بين الآبار والقرى  
 الحجازية، بدءاً من وادي فاطمة الزهراء، وآبار  
 عزفان<sup>(55)</sup>، فالخليصاتي اقتصر فيها في الوصف على  
 كثرة المياه دون أن يزيد على ذلك، وصولاً لرابع محل  
 إجماع الحجاج والتلبية متجاوزين الصحاري المقفرة  
 الصعبة المسالك القليلة المياه، وكان الحال في الوصف  
 متشابهاً في بقيت معادن درب الحجاز .

ولهذا فقد تميزت مرحلة الحجاز حسب كلام  
 المجاجي باللمحة المختصرة في معناها والجلية في أهدافها،  
 أعطى فيها الترتيب المساري للمعاطن والدروب بالتركيز  
 على ذكر منازل السقي والمثونة، إلى جانب التحلية  
 بنفحات المحبة مع مزارات الطيبة بمدينة طيبة، مستعجلاً  
 في الحديث عن مصر حاضرة العلم والعلماء.

### 2 مرحلة مصر والإسكندرية:

لا شك أن السبب الأساسي في مسارعة المجاجي  
 وركب الحج إلى مصر هي تلك المكانة التي تحتلها في  
 قلوب المغاربة، ليخصها المؤلف بواحد وخمسين بيتاً  
 لوحدها<sup>(56)</sup>.

ليختم زيارته لمصر بمدينة الإسكندرية، أين أبدى  
 إعجاباً بآثارها وتحدث عن بعض مزاراتها، وأهل  
 الصلاح فيها، وعن مسجد عمرو بن العاص<sup>(57)</sup> الذي  
 زاره وأعجب بطابعه العمراني، واصفاً مشهداً من تلك  
 الزيارة في قراءة أمير ركبهم لأربعة أجزاء من سورة  
 البقرة، من أحد مصاحف الإمام العتيقة، الذي قصد به  
 مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>(58)</sup>.

وصفوة القول عن هذه المرحلة التي تحدث  
 عنها المجاجي في ستة وسبعين بيتاً، أن التركيز فيها كان  
 في مجمله على المزارات والمساجد والعلماء ومجالس  
 العلم فيها، والمشاهد الأثرية فالاقتصادية، من خلال

مسيلة  
 واد الجنان  
 بلاد حمزة  
 واد الشرفاء  
 مضيق غيضة  
 الجزائر  
 متيجة  
 واد  
 مليانة  
 شلف  
 مجاجة

### 4 دراسة وتحليل المادة التاريخية للرحلة

(المخطوط).

سجل عبد الرحمان بن محمد بن الخروب  
 المجاجي معلومات قيمة من الناحية التاريخية، بالرغم من  
 أنها مقتضبة، لكون الرحلة منظومة، فقد أخذت بالعديد من  
 المعلومات التي كان من شأنها أن تعطينا الكثير من  
 التفاصيل عن المدن والقرى، وحتى عن الجبال والسهول  
 والوديان التي تنقلوا عبرها. ومع هذا استطاع المجاجي  
 أن يقدم رحلة بسيطة الأسلوب<sup>(49)</sup>، واضحة المعاني،  
 خالية من التعميق اللفظي، حتى قاربت النثر غير أنها  
 ليست من فصيلته. تميز فيها عند كلامه عن مسار الرحلة  
 بالدقة في الوصف لكل موقع يمر به، سواء أكان ذلك  
 الوصف بالنسبية فقط أم بالتعبير الموجز بما اختاره من  
 نعوت عمداً لا على سبيل المصادفة أو الإدراج العابر  
 للمعاني والتعميق الشعري؛ لأن هذا بعيد كل البعد عن  
 نظم المجاجي، كما يتجلى في المتن.

وبتعبير موجز تناولت مضامين رحلة المجاجي  
 محاور أساسية دارت حولها التفاصيل، نستلها بأهم  
 المحاور التي أراد المؤلف إيصالها لكل من يهمه الأمر  
 سواء أكان حاجاً أو غيره نمثلها فيما يلي:

### 1- مسار الرحلة و وصف للأماكن التي مر بها

المجاجي:

إن الطريق البري للرحلة يصل بين المشرق  
 والمغرب، وبالتحديد بين الحجاز ومصر مروراً  
 بطرابلس و تونس وصولاً لأرض الجزائر<sup>(50)</sup>، فقد  
 اقتصر على طريق العودة فقط من البقاع المقدسة نزولاً  
 ببلدة مجاجة بالجزائر. ومع تتبع المنهج الرئيسي للمؤلف  
 والذي يتجلى منه الطابع المحلي من منطقة لأخرى،  
 أمكننا أن نقسم الرحلة إلى ثلاث مراحل، ولكل مرحلة  
 عدد من المحطات تكاد تكون متناسبة؛ من حيث الحجم  
 بالنسبة للمرحلتين الأوليين، أما المرحلة الأخيرة من حيث  
 الحجم؛ فقد نالت حظ الأسد من القصيدة عامة. وأما  
 الموضوع فهو متباين من مرحلة لأخرى، والشيء نفسه  
 يقال على الأفكار، أما الأداء فيكاد يكون موحداً، وهذه  
 المراحل نمثلها فيما يلي:

تسليط الضوء على إحدى أسواق مصر الشهيرة.  
**3-مرحلة بلاد المغرب: (الرحلة من صحراء برقة إلى طرابلس مروراً بتونس فالجزائر):**

وعند خروج المجاجي من مصر متجهاً نحو بلاد المغرب يجده القارئ مستنشراً مغتبطاً؛ بالفائدة التي نالها بتلك الزيارة، وقد دل على ذلك قوله:  
 وَمِنْهَا ارْتَحَلْنَا قَاصِدِينَ بِيُوتِنَا

فَصَيِّنَا بِحَمْدِ اللَّهِ كُلِّ مَوْئِنَةٍ  
 ليعطي صورة جغرافية في غاية التميز في ضبط المواقع، مؤكداً في الوقت نفسه بأنه مصدر ثقة لمن أراد النقل عنه:

وَأِنْ تُرِيدِ الْأَخْبَارَ عَنْ كُلِّ مَعْطِنٍ  
 وَعَنْ اسْمِهِ فَخُذْهُ عَنِّي بِصِحَّةٍ

فكانت بداية الطريق مع صحراء برقة<sup>(59)</sup>، أين خففت محطات استراحة الركائب أعباء السفر والمنازل الصعبة<sup>(60)</sup>، فكان يذكر أسماء المدن والقرى والمنازل والتي وصلت في تعدادها إلى اثنين وخمسين اسماً في مجملها، بتفاصيل مختلفة ولكن أهم سمة تتجلى فيها وكانت على عادة المغاربة آنذاك، وكأسوة بزيارة الأحياء من الصالحين، كان لا بد من زيارة أضرحة لأموات في هذا الطريق، فقد كانت بمثابة فرض مائتاً، أو ضريبة لازمة وخاصة للحجاج واعتقاداتهم، في إتمام ما نالوه من بركات الأراضي المقدسة، بتلك المزارات وخاصة مع كثرتها ببلاد المغرب.

ومع الانضباط المحكم الذي رسمه المجاجي لنفسه في سرده لمسار الرحلة ينتقل نقلة نوعية تميز هذه المرحلة، وكان هذا بعد خروجه من مدينة بسكرة، ليتحدث عن العلماء والفضلاء الذين رافقهم في ركب الحج، وهذه

الجزئية عامة خصها بحوالي تسعة وسبعين بيتاً. ليعود بعدها إلى منهجه المعتاد في مسار الرحلة ببيت حلقي رابط بين السابق واللاحق، في قوله:

وَمِنْ بَعْدِ هَذَا نَرَجِعُ لِمَا  
 لِنُكْمَلَهُ بِالْعَدِّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ<sup>(61)</sup>

وفي خضم ما قاله عن مسار الرحلة وخاصة في هذه المرحلة، نجد في طيات تلك الأبيات معاني أخرى، يمكن أن نستنتج منها طبيعة تكوين ركب الحج الجزائري، بشكل أوضح، من المراحل السابقة وطبيعة مسيره بأرض المغرب، وأهم الصعوبات التي صادفته والعلاقة الطيبة بين المجاجي وبعض مشايخ الركب،

ليختتم المجاجي رحلته الطويلة ببلدة مجاجة، أصل عبد الرحمان ومنشأه ومقامه، وتتم الفرحة ببقاء الأقراب والأحبة (بحر الطويل):

وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْبَتَيْنِ بَعْدَمَا

يَظَنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلْقِيَا  
 وَأَلْفَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَعَيْنَا  
 بِالْإِيَّابِ مُسَافِرٍ<sup>(62)</sup>

ليتوجها بتسعة أبيات، بالطريقة المتعارف عليها عند المؤلفين، سواء في كتب الرحلات أو غيرها بالصلاة على النبي المختار وآله الأخيار وصحابته الأبرار، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين، ويعرف بنفسه وأصله ومنشأه وبتاريخ وقوفه بجبل عرفة سنة 1063هـ/1652م<sup>(63)</sup>

ولكي تكتمل الصورة أكثر نقوم بإحصاء بسيط للمدن والقرى التي ذكرها المجاجي، إلى جانب الآبار والوديان والجبال، وحتى عدد المساجد التي أوردتها في الرحلة، في الجدول التالي:

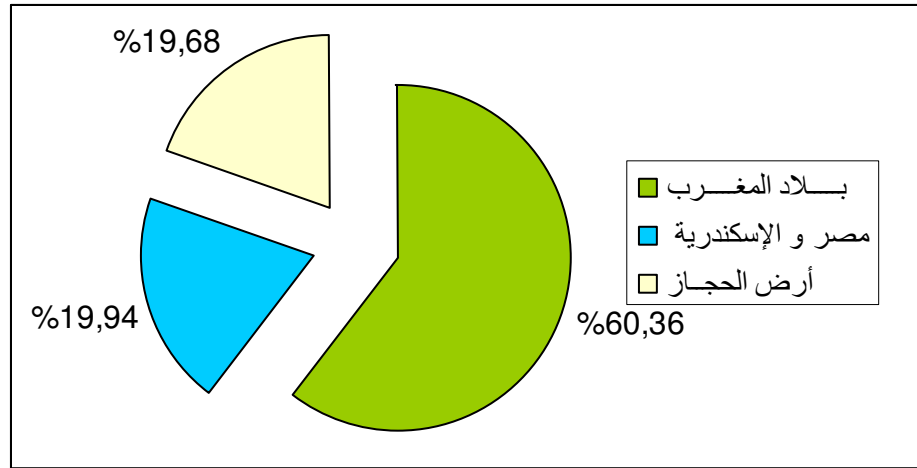
المدن والقرى	آبار المياه	الجبال والوديان وأسماء مواضع	الجوامع أو المساجد
41	32	10	9

كما ندرج الجدول الثاني لنحصى فيه عدد الأبيات التي خصصها لكل مرحلة مستثنين منها تسعة أبيات الأخيرة التي عرف فيها بنفسه إلى جانب الأبيات

أرض الحجاز	مصر والإسكندرية	بلاد المغرب
75	76	230
%19.68	%19.94	%60.36

ولتتضح الصورة نأظرها بالنسبية المنوية التالية:  
**مراحل رحلة المجاجي**





و بعد هذا البيان لأطوار الرحلة ومرآطها، نوجز في الختام الاستنتاجات التالية :

بشكل كاف. ولعل السبب في ذلك يعود لأن الرحلة منظومة مقتضية الفائدة خاصة في وصف المدن والقرى والأودية وغيرها، فهو يعطي أهم الإشارات فقط (كوجود الماء بها وطبيعته إن كان صالحاً للشرب، بالإضافة للمؤن التي يحتاجها الحاج أو المسافر، إلى جانب الكلاً للدواب)، متفادياً أي وصف آخر كان من شأنه أن يعطي صورة أوضح عن تلك المواضيع، ونفس الشيء بالنسبة للأعلام فلم يذكرهم بصورة دقيقة وواضحة، كالاسم الكامل للعالم المتحدث عنه، أو سنة ميلاده أو وفاته، وقد حدث هذا حتى مع أمير ركبهم، فقد أطنب في الإشارات والمديح عنه ولم يذكر اسمه قط في الرحلة.

أما وصفه للديار المصرية وللأراضي الحجازية فهي على ما يعهد في مثل هذه الرحلات، وفائدة هذه الرحلة من هذه الناحية ترجع لإعطاء معلومات عنها في هذه الحقبة من التاريخ، فتكون حلقة من سلسلة الرحلات الطويلة التي وصفت هذه المراحل وعينت المنازل، والمناهل. وتصلح بذلك لوضع خريطة طريق الحجاج عبر التاريخ، وتحقيق أسماء المراحل التي يمرون بها، والمسافات التي بين كل مرحلة والتي تليها.

ويمكننا القول أن من أهم الأسباب التي دفعت المجاجي إلى كتابة رحلته نظماً، هو حفظها وتيسير تداولها بين الناس، قصد الاستعانة بها في أسفارهم للأراضي المقدسة. ورغم ما جئنا على ذكره في هذه الرحلة، فإنها لا تكتمل فائدتها إلا إذا استعنا برحلات أخرى، تكون مزمنة لها في تلك الفترة.

يُستشف مما سجله الرحالة المغاربة عامة عن كيفية تنظيم قوافل الحج والطريق التي تسلكها في اتجاه الحجاز أو العودة منه، بأن لها دوراً اقتصادياً وثقافياً بالإضافة للهدف الأول من الرحلة وهو أداء فريضة الحج؛ فعن طريق ركب الحج يمكن للفرد أن يحقق غايات وأغراض دينية ودينية، فهي رحلة للحج و لطلب العلم والمال معاً، أو على قول الحجاج المشهور ( حج وحاجة).

كما تذر هذه الرحلة معلومات هامة عن مراسيم استقبال ركب الحج الجزائري عند دخوله مدينة الجزائر ومصر والحجاز، كما أعطانا فيها لمحة جد هامة عن أوضاع ركب الحج ومرافقيه وهيكلته الداخلية وطريقة تنظيمه في الفترة العثمانية، سواء أكان ركب الحج جزائري أو مغربي أو حتى مصري، فإننا نجد إشارات عن كل هذه الركائب مع رحلة المجاجي فقد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر كما يقال، ولكن باعتباره مسافراً مع الركب الجزائري فبطبيعة الحال ستكون التفاصيل عن هذا الأخير على الخصوص.

كما لا يفوتنا أمراً آخر فمن خلال أسلوب المجاجي في الكتابة أو النظم تنعكس ثقافته ذات البعد التاريخي الفلكي الصوفي ذو اللمسة الفقهية الأدبية، استعمل أسلوب سليم ومنهج دقيق، نستوحيه من خلال تأكيده وتوثيقه للمعلومات، باعتداده على المصادر الموثقة سواء أكانت شفوية أو عينة أو منقولة مع ندرة التكرار والأطناب في النص، وهذا ما يعكس لنا التزام المجاجي للدقة، ولكن مع هذا فقد أخفق في أن يعطي صورة واضحة وجليّة عن تاريخ وأوضاع المغرب والمشرق (مصر والحجاز)

### الهوامش:

- 1- عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي، رحلة المجاجي (مخطوط)، الأبيات رقم (465 إلى 469)، و11 ظ.
- 2- مجاجة: بلدة قرب مدينة شلف، تبعد عنها ب10 كلم، غرب الجزائر العاصمة، ابن عمّار، أشعار جزائرية، تحقيق: أبو القاسم سعد الله الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب، ط: 1988م، ص: 108.

- <sup>3</sup> محمد ابن أبي شنب (1286هـ-1869م/1347هـ-1929م): ولد محمد بن العربي بن محمد بن شنب بإحدى ضواحي مدينة "المدينة" تدعى " عين الذهب"، نبغ في علوم اللغة العربية، وشيء من الفقه والتوحيد، إلى جانب اللغات اللاتينية كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والفارسية والتركية، اشتغل كمدرس للأدب العربي بقسنطينة سنة 1316هـ/1898م، ثم مدرسا بكلية الآداب سنة 1343هـ/1924م، جمع في تأليفه بين العربية والفرنسية وخاصة كتب التراث، فحقق: " كتاب البستان في علماء تلمسان" لأبن مريم، "الذخيرة السننية في تاريخ الدول المرينية" و"طبقات علماء إفريقية" لأبي ذر الخشني مع الترجمة بالفرنسية، ومن مؤلفاته بالعربية: " تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب"، وبالفرنسية: "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية" وغيرها، محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط: 2000م، ج1، ص ص: 134، 177، عبد الرحمن بن محمد الجليلي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ط: 1983م، ص ص: 13، 24.
- <sup>4</sup> ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1998م، ج 2 ص: 388.
- <sup>5</sup> المقصود هو مولود فلاق بن علي بن الجليلي (ت1390هـ/1970م).
- <sup>6</sup> حسب عنوان هذا الكتاب قد يظن القارئ أنه ترجم فيه جملة من علماء مجاعة، ولكنه في الحقيقة اقتصر على التعريف بالشيخ محمد بن علي أبهلول (ت1002هـ/1593م)، وعائلته الكريمة من أبنائه وأحفاده العلماء منهم والصلحاء حتى عهد مولود فلاق، وهذا المخطوط يوجد نسخة منه بالمركز الثقافي بالسلف، فيه حوالي 20 قطعة.
- <sup>7</sup> مولود فلاق، مخطوط " علماء مجاعة"، و2ظ.
- <sup>8</sup> الاسم الكامل للكتاب " المغارسة " " التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتلويح والتصيير" مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم (1803)، و1ظ، و2 و.
- <sup>9</sup> أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيروت: مؤسسة الرسالة-مكتبة العتيقة، ط: 1408هـ/1985م، ج 2 ص: 224.
- <sup>10</sup> عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1971م، ص: 87.
- \*- هنا كان منتهى مدلول الرسالة التي بعثها أبو القاسم سعد الله عبر فاكس الخاص بالدكتور بلقاسمي بوعلام، وكان ذلك في سنة 2006م.
- <sup>11</sup> أبو راس الناصري العسكري، " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، مخطوط بالمكتبة الوطنية، تحت رقم: 1632، الناسخ: عبد الله بن الربيع بن عبد الرحمن الشريف، و143.
- <sup>12</sup> أبو زكرياء يحي المازوني المغيلي (ت883هـ/1478م): هو يحي بن عمران موسى بن عيسى المازوني. الفقيه الفاضل والقاضي العادل وصاحب كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة المشهور المفيد في فتاوي المتأخرين أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان. ينظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، طرابلس-الهرامة: منشورات كلية دعوة الإسلامية ط: 1989م، ص637، محمد بن محمد مخلوف، شجرة الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، دبط، ص: 65، عادل نويهض المرجع السابق، ص: 204، عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، جزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 1415 هـ/ 1994م، ج2، ص ص: 286، 287.
- <sup>13</sup> أبو زكرياء يحي المازوني المغيلي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات جامعة الجزائر، ط: 2004م.
- <sup>14</sup> ينظر: عبد القادر أوقاسي، فقهاء شلف خلال العهد العثماني "عبد الرحمان المجاجي نموذجاً"، مقال ضمن مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي " مصادر وتراجم"، 1425م/ 2003م-2004م، العدد 5/4، ص: 9.
- <sup>15</sup> -عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم (104 إلى 126)، و3 ظ، و4 و.
- <sup>16</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (216، 219)، و6 و.
- <sup>17</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (276 إلى 296)، و7 ظ، و8 و.
- <sup>18</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (41 إلى 45)، و2ظ.
- <sup>19</sup> -عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم (413، 414)، و10 ظ.
- <sup>20</sup> -حول تراجم الأعلام و تخريجات الأماكن المذكورة في هذه الجزئية ينظر قسم التحقيق.
- <sup>21</sup> -عبد الرحمان المجاجي، المصدر السابق، الأبيات رقم (89، 91، 327 إلى 367)، و3 و، و8 ظ، و9 ظ.
- <sup>22</sup> -عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم (4، 130 ..)، و1 و، و4 و.
- <sup>23</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (23، 201، 206..)، و1 ظ، و5ظ.
- <sup>24</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (80، 81، 193..)، و2ظ، و5ظ.
- <sup>25</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (54، 55، 83، 132..)، و2ظ، و4 و.
- <sup>26</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (7، 32، 153 ..)، و1 و، و1ظ، و4ظ.
- <sup>27</sup> -المصدر نفسه، الأبيات رقم (67، 76، 82 ..)، و2ظ.
- <sup>28</sup> يوردها أبو القاسم سعد الله في هامش كتابه أبحاث وأراء باسم " الرحلة إلى مكة"، ويقول أنها مفهومة في المكتبة الوطنية بهذا الاسم، ولكن هذا العنوان من الناحية العملية غير مناسب لرحلة، وذلك لسببين أولاً: أنها رحلة عودة من الحج وليس ذهاب، ثانياً: أنه لم يبدأها من مكة بل من إحدى المحطات الرابطة بينها وبين المدينة، وهذا بالضبط ما أكد ابن شنب في تعليقه الموجود في بداية النسخة (ب)، ولكن يبقى الاحتمال وارد إذا عرف ما في البتر الموجود في الرحلة، ص: 198.

- <sup>29</sup>-**التصوف:** أصل الكلمة مختلف فيه بين عدة معاني نذكر منها أنه مأخوذ من "الصفاء"، والصفاء هو خلوص الباطن من الشهوات والمكدرات، كما يقال عنه أنه الوقوف مع الآداب الشرعية فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر، أما أصله المعنوي، فهو من الإحسان، الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم ب" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، أما علمه: فيهتم بصفاء القلب من الشهوات، كحب الرياسة، وحب السمعة والمحمدة من الناس، وبصفائه من الكدرات أي الأمراض القلبية: كالحقد والحسد والكبر والعجب والغرور وسوء الظن بالناس، أحمد زروق، قواعد التصوف، تصحيح وتنقيح: محمد زهري النجار، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط1: 1409هـ/1989م، ص: 5، عبده غالب أحمد عيس، مفهوم التصوف، بيروت: دار الجيل، ط1: 1413هـ/1992م، ص ص: 11، 12، عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية، ص: 45، أسعد السحمراتي، التصوف (منشؤه ومصطلحاته)، بيروت: دار النفائس، ط1: 1407هـ/1987م، ص: 15، 36.
- <sup>30</sup>-ينظر: العبد ري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تح: أحمد بن حدو، دط، دت، ط، ص: 69.
- <sup>31</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم(307إلى310)، و8و.
- <sup>32</sup>-وقد ساعدها على إعانة الناس من الناحية الاجتماعية، ما كان بحوزتها من ممتلكات، وهذا ما تؤكد الرسالة التي بعثتها السيدة عودة لأبن أخيها أبو الحسن علي(أبو حسون)، تعنفه فيها على سوء إدارته لبعض ممتلكات، وهذه الرسالة في حوزتنا.
- <sup>33</sup>-عبد الرحمان المجاجي، المصدر السابق، الأبيات رقم(14إلى24)، و1و، و1ظ.
- <sup>34</sup>-مختار بن طاهر الفيلاي، رحلة الورتلاني (عرض ودراسة)، الجزائر: دار الشهاب، ط: 1978م، ص ص: 50، 51.
- <sup>35</sup>-فلاق بن علي الحيلالي، مخطوط "علماء مجاجة"، و5 ظ.
- <sup>36</sup>-**الحجاز:** جاءت هذه التسمية من الحجز، وهو ما تشد به وسطك لتشمل ثيابك، فالجبال ومكة والمدينة والطائف كأنها حجزت بين نجد وتهامة، محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، بيروت: دار المعرفة، بدون طبعة، ج3، ص: 358.
- <sup>37</sup>-الجبرتي، له كتاب بعنوان عجائب الآثار في التراجم والأخبار.
- <sup>38</sup>-ابن أبي ضياف، له كتاب مسمى " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، مختار بن طاهر، رحلة الورتلاني ص: 193.
- <sup>39</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، البيت رقم(141، 150، 197)، و4و، و4ظ، و5 ظ.
- <sup>40</sup>-**عبد الوهاب الشعراني:** من أصل علوي جده الأعلى هو محمد ابن حنيفة ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولد بالقاهرة سنة 898هـ/1491م، ببلدة قلفسندة، تبنى الشعراني الفكر التصوفي، ونبغ فيه، إلى جانب الفقه والأصول، والتفسير، والحديث والنحو، والطب، والكيمياء والأخلاق، توفي سنة 973هـ/1565م، له مؤلفات عدة منها: " البحر المورود"، " الجوهر الموصوف والسر المرقوم"، أشهرها: " طبقات الصوفية"، عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تح: طه عبد الباقي سرور-محمد عبد الشافعي، بيروت: المكتبة العلمية، دط، ج1، ص ص: 3، 10، أبو القاسم الزياتي، الترجمانة الكبرى، ص: 206.
- <sup>41</sup>-عبد الوهاب الشعراني، كتاب الكبرى الأحمر في بيان معرفة علوم الشيخ الأكبر، تقديم: نواف جراح، بيروت: دار صادر ط1: 1424هـ/2003م، ص ص: 10، 11.
- <sup>42</sup>-**علم الفلك:** يقصد به الأفلاك السماوية، يقول ابن قتيبة الفلك مدار النجوم التي يضمها، احتج بقوله تعالى: (وكل في فلك يسبحون)، وقال وسمى فلأ لاستدارته، ومنهم من يقول أصله الدوران والفلك السفينة، يذكر ويؤنث، قال تعالى: (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)، وقال: (وفي الفلك المشحون ) والفلك: جماعة السفن، والفلك: دوار يدور كل ما فيه، فدوار الكواكب كلها حول القطبين، وهما نقطتان من الفلك متقابلان، أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب أبو علي بن الحسن المرزوقي(ت461هـ/1068م)، الأزمنة والأمكنة، تح: محمد نايف الدليمي، ج2، ص ص: 10، 11، أبو العباس القلقشندي (861هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: مطابع كوستا تسوماس وشركاه، ج1، ج2، ص: 154.
- <sup>43</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم(105إلى113)، و3و، و3ظ.
- <sup>44</sup>-المصدر نفسه، البيت رقم (122)، و3ظ.
- <sup>45</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم (125، 126)، و4و.
- <sup>46</sup>-ينظر: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي(ت1031هـ/1621م)، العجالة السنوية على ألفية السيرة النبوية للحافظ العراقيبيروت لبنان: دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 1421هـ/2000م، ص: 394.
- <sup>47</sup>-عبد الرحمن المجاجي، المصدر السابق، الأبيات رقم(217إلى219)، و6و.
- <sup>48</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم(280، 281)، و7و.
- <sup>49</sup>-قد شاركه في هذا الأسلوب محمد بن مسايب أحد رموز الشعر الملحون في الجزائر العثمانية في رحلته الحجازية مسماة ( الرحلة من تلمسان إلى مكة)، واختلف عنهما سعيد المنداسي في الصنعة اللفظية في النظم في رحلتها المسماة (العقيقة)، فقد حاول فيها هذا الأخير تشبهه بشعره الفصيح؛ كما قيل بأصحاب المعلقات، سعيد المنداسي ديوان سعيد المنداسي، تح: محمد بكوشة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط: 1978م، ص: 4.
- <sup>50</sup>-هذه الطريق قد سلكها جل الرحالة، سواء أكانت منطلقاتهم من المغرب الأقصى أو من الجزائر، كابن الرشيد السبتي وابن بطوطة، والعبدري، والتجبيبي، وأبو سالم العياشي والدرعي والورتلاني وغيرهم، وكل هذه الرحلات كانت رحلات ذهاب وعودة، غير أن أصحاب النظم الرحلي، أمثال مؤلفنا، وابن المسايب الذي اقتصر في رحلته الملحونة على الذهاب فقط، وقد تعود أسبابها لصيغة النظمية، نرجح ذلك لصعوبة تدوينها ذهاباً وإياباً معاً.
- <sup>51</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم(1إلى75)، و1و، و2ظ.

- <sup>52</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم(76إلى151)، و2ظ، و4ظ.
- <sup>53</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم(152إلى325، 406 إلى461)، و4ظ، و6ظ، و10ظ، و11ظ.
- <sup>54</sup>- عبد الرحمن المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات رقم (326، 404)، و10 و، و10ظ.
- <sup>55</sup>-يقال لها كذلك بئر عسفان، وهي بئر مباركة على حسب الروايات، وهي على يسار الذهاب إلى مكة، ماؤها يستشفى به، قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيه، قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى، وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضع منها، شهاب الدين الأبيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، ج1، ص: 229.
- <sup>56</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات من رقم(76 إلى 152)، و2ظ، و4ظ.
- <sup>57</sup>-يوجد مسجد آخر ينسب لعمر بن العاص بالقاهرة، هذا المسجد في طرفها من ناحية باب الناصر، والقاهرة معلوم أنها من بناء العبيدين، وليست من بناء الصحابة، وهذا المسجد قد عرف بالبركة، العياشي، الرحلة العياشية، ج1 ص ص: 149، 150.
- <sup>58</sup>- يؤكد المكناسي أنه سمع بوجود هذا مصحف بمسجد عمر بن العاص رضي الله عنه، لكن لم يتسنى له رأيته. وتشير الدراسات الحديثة إلى وجود نسخة أخرى من المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان، وقد كان متواجداً في أول الأمر بمسرقند، ثم نقل إلى بطرسبرج عاصمة روسيا القيصرية، وبعد الثورة البلشفية سنة 1917م، نقل إلى تركستان، وهو الآن في طشقند. وقد نشرته جمعية الآثار القديمة بالقاهرة، وقد أهدته بعد ذلك إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي ص:179، أحمد أبو زيد، ترميم المصاحف الأثرية، مقال ضمن مجلة الحج والعمرة، السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، ط: 1427هـ/2006م، العدد الرابع، ص: 29 .
- <sup>59</sup>- يقول عن هذه الصحاري العبدري: «وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة، فوجدنا برية هي أم البراري، والقفار والمهامه التي يحار فيها، أرباب الأسفار، يستعذب عذابها المنفض من الحجاج، كما استعذب الضمان المورد الأجاج امتدت وطالت، وأشادت وهالت، وأريدت، وحالت»، ولو أنشدت لقلت:
- أنا الغول غالت من يطور فناءها وتحدع بالألطف طوراً وبالبر  
فإن أكلوا بري شربت نفوسهم وكم بين نفس المرء في الغدر والبر
- العبدري، الرحلة المغربية، ص: 79.
- <sup>60</sup>-عبد الرحمان المجاجي، المصدر السابق، البيت رقم(153إلى181)، و4ظ، و5و.
- <sup>61</sup>-المصدر نفسه، الأبيات من رقم (326إلى405)، و8ظ. و10ظ.
- \*قد يكون أبو الحسن علي ابن عبد الرحمان بن محمد بن علي أبهلول، أو أمير الركب في حد ذاته، ولكن حسب ما جاء في منشور الهداية لعبد الكريم الفكون مستبعد أن يكون هو لأنه لم يذكر سوى زواج واحد له، ينظر: أبو القاسم سعد الله، عبد الكريم الفكون الداعية السلفية، ص ص: 65، 66.
- <sup>62</sup>-البيت لقيس بن الملوح، القلصادي، رحلة القلصادي، ص: 148.
- <sup>63</sup>-عبد الرحمان المجاجي، رحلة المجاجي، الأبيات من رقم (459إلى470)، و11ظ.
- <sup>64</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم(326، 404)، و8ظ، و10ظ.
- <sup>65</sup>-المصدر نفسه، الأبيات رقم(405)، و10ظ.